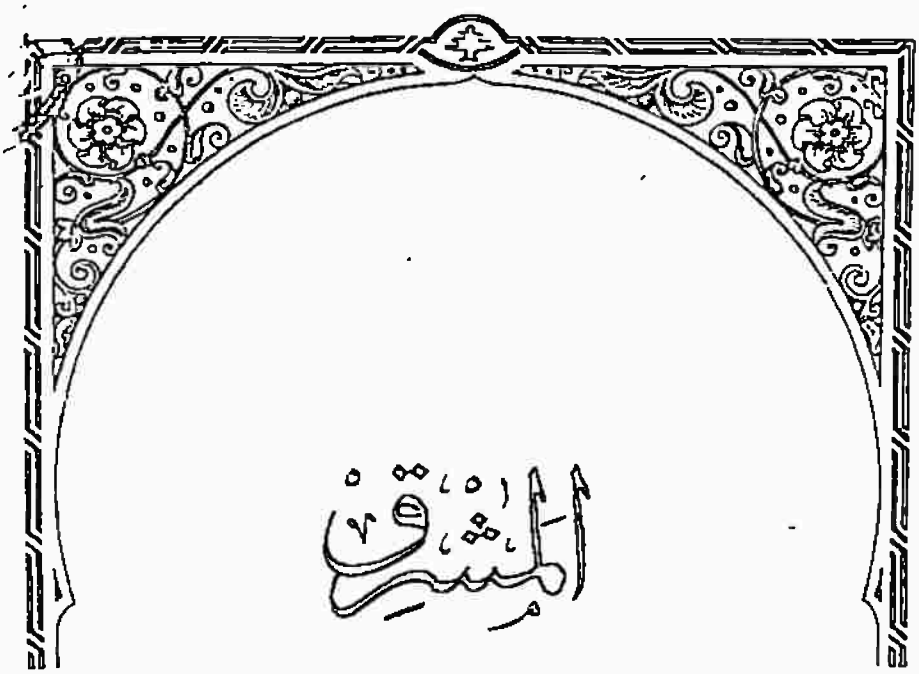

السنة الثامنة والعشرون
تشرين٢ – كانون١ ١٩٦٤

النصرانية في جنوب العراق

نصارى كسكر وواسط قبيل الاسلام

بقلم الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني

النصرانية في بلاد ما بين النهرين عريقة قديمة يرجع تاريخها الى القرن الثالث المسيحي . كما تشهد بذلك النصوص التأريخية . والاخبار الكنائسية ، والوثائق الدينية ، لانها من الاديان السماوية التي قضت على الوثنية المنتشرة اوانذاك في جنوب العراق ، والمقتبسة من الاديان الوثنية التي كانت قد عمت بلاد فارس وما جاورها . وقد اورد المرحوم العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي بحثاً مستفيضاً عن النصرانية في العراق في كتابه « آداب النصرانية » نجتزئ منه ما يلائم مقدمتنا هذه قبل التفصيل والتعمق في رجال النصرانية الافذاذ الذين اقاموا المبادئ المسيحية على اسس ثابتة ودعائم راسخة قوية ادت الى محو الوثنية من انحاء العراق وهو يومئذ تحت نفوذ امبراطورية فارسية مجوسية . جاء في تلك المقدمة ما نصه : « لما اشرقت شمس النصرانية سار دعاتها الى ما بين

النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار الذين لبوا دعوتهم وانضمت الجموع الغفيرة في سلك المسيحية . واذ كانت العرب ممتزجة مع سكان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً على التدين بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب . ولنا على تنصر عرب العراق شواهد سبق بعضها عهد مالك بن فهم فمن ذلك ما رواه كتبة الكلدان عن اول من بشر بالدين المسيحي في مواطنهم . وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقية (ج ٤ ف ٥ . ص ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرح بانتشار المسيحية في العراق ونواحي آشور وبابل عن يد الرسولين توما وبرتلماوس . وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاولين اعني « ادّي » او « تدّي » احد السبعين وتلميذيه « اجي » و« ماري » . لكن كثيراً من علماء التاريخ لم يسلموا له بصحتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد . لكن الاكتشافات الحديثة في السريانية لم تنق ريباً في الامر اذ ثبت أن ادّي . الذي يعتبره الكلدان كرسولهم . كان حقاً من تلامذة السيد المسيح ؛ وان بشارته في جهات العراق لا يجوز نكرانها . فان أقدم التواريخ الكلدانية من القرن الخامس الى التاسع التي نشرت مؤخراً كتأريخ « برحد بشابا عربايا » وتأريخ « مشيحازخا » وشعر « نرساي » في القرن السادس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ م ؛ واعمال الشهداء ؛ والكتب الطقسية القديمة كلها تشير الى شهادة الرسول ادي[1] كما ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ « أدّي »[2] وفي الشواهد عن هؤلاء المبشرين الاولين الكلدان ربما ذكروا تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب « النحلة » من كتبة القرن السابع : وكان الداعي والمنصر (كذا) والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاه من بلاد التيمن واخذ ة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري وحق بهما من التلاميذ الاثني عشر ثانيل وهو ابن « تلماي » — أي برتلماوس — لان لفظة « بر » الارمية معناها « ابن » وقد قال ماري بن سليمان عن هذا الرسول في (ص ٥) من كتابه « فطاركة المشرق » : ان برتلماوس تلمذ ، مع ادي وماري ، نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط .

---

(١) كتاب *Sources Syriaques* التي نشرنا وكتاب المثلث الرحات البطريرك عبد يشوع خياط بطريرك بابل على الكلدان في القرن الماضي المدعو بـ (الكلدان والقسطرة والرئاسة البطرية).

(٢) نشر ترجمته لاول مرة في الاصل السرياني ابليس J. B. Abbeloos (*Acta S. Maris*)

وقد سبقها القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادي الى الرها والمشرق في الميمر[1] الذي مدح فيه مدينة الرها .

اما ماري فان ذكره لا يكاد يفترق عن ذكر ادي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسية الانطورية واعمال اجامع وترجمته الموما اليها وكلها تشير الى دعوته بين بلاد العرب في بلاد ميشان[2] وسواد العراق وسكان الخيام . قال ماري بن سليمان في تأريخ « فطاركة المشرق » : « ان ماري بادر الى تلماذ — أي تنصير — جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز ... وبلاد العرب سكان الخيم وحوار وجزائر بحر اليمن » . وقد روى الطيب الذكر السيد عبد يشوع خياط في مقدمة اعمال مار ماري[3] ان ذخائره وجدت سنة ١٨٧٩م . مع ذخائر يشوع بن سيران احد شهداء القرن السادس بين اثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش[4] شرقي الموصل . فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشك في تاريخية ماري التي ارتاب فيها البعض[5] وقال في مكان آخر ما نصه : ان الياً النصيبيني ذكر اساقفة على البصرة وكان اسمها « فرات ميشان » منذ سنة ٣١٠ م وقد شهد المؤرخون ان سياحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع ذكرهم المؤرخ (سوزمان)[6] ودعاهم بالرعاة لانهم كانوا يعيشون في البراري ويقتاتون من النبات . وروى ذلك المؤرخ انهم بحياتهم النسكية وفضائلهم العجيبة ردوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني . ثم تبع هؤلاء السياح رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكية . فكثيرون منهم اشتهروا في جبلات

(١) الميمر لفظة آرامية معناها معلقة او قصيدة من الشعر نجدها معربة في اكثر الكتب التي تبحث في تأريخ الكنيسة ورجالها .

(٢) ميشان : كان يطلق على القسم الجنوبي من العراق في البقعة المحصورة بين واسط والبصرة . ومنها فرات ميسان (براث ميشان) وهي في البقعة المحصورة بين ما كان يسمى بيت اراماني وبيت داراي (راجع الخارطة المثبتة في آخر الجزء الثاني من تأريخ كلدو وآثور للمرحوم (ادي شير) مطران سعرد سابقاً . وراجع معجم البلدان لياقوت الحموي مادة بادريا ج٢ ص ٢٨ و ٢٩ . ومادة ميسان ج ٨ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ من طبعة مصر) .

(٣) وردت ترجمته في كتاب (*Acta S. Maris*) ص ٧ و ٨) .

(٤) وتعرف اليوم بقرية (كرمليس) وهي قرية مسيحية مشهورة بحدائق الكروم تقع بالقرب من قرية (برطلة) وهي تبعد عن الموصل اكثر من اثني عشر ميلاً ذكرها ياقوت في معجم البلدان قال ما نصه بالحرف : « كرمليس : كأنها مركبة من كرم وليس . قرية من قرى الموصل شبيهة بالمدينة من اعمال نينوى في شرقي دجلة كثيرة النخل والاهل وبها سوق عامر وتجار » أ هـ ج ٧ ص ٢٤٥ من الطبعة المذكورة آنفاً .

(٥) النصرانية وآدابها للمرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ج ١ ص ٧٤ و ٧٥ .

(٦) Socombne: H. E. I, 34

العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب . ومن خصهم بالذكر قدماء الكتبة الراهب حنا الكشكري [1] الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديراً هناك نحو سنة ٣٢٥م .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع تولى احد الرهبان النصارى اسمه «عبدا» بناء الاديرة في انحاء بلاد العرب فتقدم على جاثليق المدائن المسمى « تموز » او « تومرصا » ونال منه الرخصة في ذلك فبنى هو ديراً كبيراً في ديرقني [2] او درقان وطنه على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذلك الرسول . وبنى تلامذته اديرة اخرى منهم تلميذه عبد يشوع الذي شيد على نهر صرصر [3] الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في ايام استشهاد المسيحيين على يد سابور باعراء المجوس . وشيد ديراً آخر في باكسايا [4] في سواد العراق ثم ديراً ثالثاً عند الفرات . واخبر المؤرخ ابن ماري (ص ٢٩ وهو ماري بن سليمان انه تلمذ العرب في مثوث [5] وميشان واليمامة ورد بني

(١) المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٤ ص ٦٩١–٧٠٤ .

(٢) راجع مادة ديرقني (ج ٤ ص ١٦٤ و ١٦٥) من معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة مصر . وراجع كذلك (ديرقني) موطن الوزراء والكتاب ومنقل النصرانية في العراق « للاستاذ ميخائيل عواد : « المشرق » ٣٧ بيروت ١٩٣٩ ص ١٨٠–١٩٨ .

(٣) قال ياقوت الحموي في مادة صرصر ما نصه : « وصرصر في طريق الحج من بغداد قد كانت تسمى قديماً قصر الدير او صرصر الدير ... وقد خرج منها جماعة من التجار والاعيان واصحاب الاموال .... منهم التقي ابو اسحق ابراهيم بن عسكر بن محمد بن ثابت صديقنا فيه عصبية ومروة تامة وقد مدحه الشعراء فقال فيه الكمال القاسم الواسطي وانشد لنفسه فيه :

« اقول لميقاد تقسم لحمه على اليد ما بين السرى والتجر
تيمم بها ارض العراق فانها مراد الحيا والخصب وانزل بصرصر
تجد مستقراً للعفاة وقرة لعينك فاحكم في الندى وتخير ...الخ »

ونحن نعلم ان طريق الحج قديماً من طريق القوافل من بغداد يسير جنوباً بانحدار عن طريق النجف الذي كان قد اعيد فتحه قبل سنوات .

(٤) بلدة قرب البندنيجين وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي في اقصى النهروان . قالوا لما عمر قباذ بلاده نقل الناس . وكان من نقله الى بادرايا وباكسايا الحاكة والحجامين . واليها ينسب ابو محمد عباس بن عبدالله بن ابي عيسى الباكسائي ويعرف بالترقفي احد ائمة الحديث . توفي سنة ٢٦٨ هـ. (معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ م ص ٤٥ ط مصر .

(٥) مثوث : قال ياقوت في معجمه في مادة مثوث ما نصه بالحرف : « مثوث قلعة حصينة بين الاهواز وواسط قد نسب اليها جماعة من اهل العلم الحديث ... » قال ابو الفرج الاصبهاني : « مثوث مدينة بين سوق الاهواز وبين قرقوب اجتزت بها سنة ٣٢٧ هـ. ونسب المحدثون اليها جماعة . منهم محمد بن عبدالله بن زياد بن عباد القطان المثوثي والد ابي سهل . حدث عن ابراهيم بن الحجاج وعبدالله بن الجارود السلمي وغيرهما . وروى عنه ابنه ابو سهل ... وحليم بن يحيى المثوثي . حدث عن الحسن بن علي ابن راشد الواسطي . روى عنه الطبراني وابو القاسم البغوي ويحيى بن محمد بن صاعد . حدث عنه ابو القاسم التنوخي وعبدالله بن محمد الصريفيني في آخرين » .

ثعلبة الى الايمان [1] فجعله تومرصا استقفاً مقامه في دير حزاق . قال ياقوت : « دير الحزاق من اعمال خوزستان . وخوزستان هذه مقاطعة تقع في الجنوب الغربي من بلاد ايران وهي متاخمة لجنوب العراق الشرقي . ومنهم تلميذه يبالاها الذي رد اقواماً من العرب في ارياف الفرات وابتنى ديراً في دسكرة السواد والدسكرة في اللغة الارض المستوية . ولعله يعني هنا اسم قرية بهذا الاسم مقابل مدينة جَبَّل تلائم هذا المكان وهو على قول ياقوت الحموي في معجم البلدان (مادة دسكرة) : « ويرد آخر على ضفة النهر قيل ان عدد رهبان ديره قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع سعته فبلغوا الاربعمائة بنيف . وكان الرهبان من انحاء شتى يتكلمون لغات مختلفة فجعلهم اربعاً وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الفرض الالهي ليلاً ونهاراً فيتلون الصلوات والتسابيح في لغاتهم اي السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية .

وكان سبقه الى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمه اسكندر الذي انشأ طائفة الساهرين «Acémètes» لمواصلتهم الصلاة ليلاً مع نهار . وقد ذكر ماري بن سليمان في تأريخ فطاركة كرسي المشرق (ص ٢١) وعمرو بن متي في الجدل (ص ٢٨) كثيراً من هذه الاديرة واختصرا تواريخها عن كتبة معاصرين اخصهم (احي) تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمه ثم صار بعد ذلك بطريركاً على الكلدان .

فهذا العدد الوافر من الاديار وكثرة المترهبين فيها دليل واضح على سطوع ضياء النصرانية بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح فان كل دير منها كان ينبوعاً من المياه الحية يسقي تلك الانحاء فينبت للخلاص الثمار الطيبة وكان المتنصرون يمارسون من الفضائل اسماها ومن الاعمال المبرورة افضلها واولاها حتى انهم ما كانوا يحجمون عن الموت والعذابات لاجل دينهم .

ثم يذكر الاب المرحوم لويس شيخو الديارات التي شيدها هؤلاء الرهبان والقسوس والاساقفة في انحاء العراق وذلك لانتشار النصرانية فيه مستنداً الى ما ذكره المؤرخون المسلمون عن هذه الديارات واهميتها ؛ امثال البكري صاحب معجم ما استعجم ؛ وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ؛ ومن التي ذكرها وهنا مساس بموضوعنا ديارات جنوب العراق ؛ كدير الاباق في الاهواز ، وديارات الاساقف بالنجف بين قصري ابي خصيب والسدير . وديري الاسكون بالحيرة وقرب واسط التي كانت فيها مدارس للعلوم الدينية

(١) المكتبة الشرقية للسمعاني ج٣ ص ١٩٨ و ٢٩٨ و ٣٩٣ .

ودير الدهدار بنواحي البصرة ؛ وغيرها من الاديرة العديدة التي تنتشر في انحاء العراق كافة من جهاته الاربع ووسطه . وذكر العرب اسماء هذه الاديرة في اشعارهم . كما انهم رووا جملة اخبار عنها . وقد نسب كثير منها اليهم لوقوعها في ديارهم او لانهم عنوا بتشييدها . وكل ذلك ما يزيد بياناً على تولنا في نفوذ النصرانية وتغلغلها بين عرب العراق . ومن الاديرة المسماة باسمهم مثلاً دير ابن براق بظاهر الحيرة . ودير ابن عامر . ودير ابن وضاح ويسمى ايضاً دير مار عبدا . بناه بذات الاكيراج من نواحي الحيرة عبد بن حنيف بن وضاح اليحيائي . ودير حنظلة المنسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة ابن مالك من بني لخم . ودير عبد المسيح المنسوب الى عبد المسيح بن عمرو ابن بقيلة الغساني الشاعر . واحد المعمرين موقعه في ظاهر الحيرة .

ومما يخبر عن المتعبدين في تلك الاديرة او انتلالي المنتدة بين الحيرة والبصرة . انهم كانوا يجتمعون في الاعياد فيحتفلون بها برونق ،وكان اهل تلك الانحاء يخرجون اليهم فيحضرون حفلاتهم ؛ ويطلبون منهم شفاء مرضاهم وكان النساك يعيشون غالباً من صيد الاسماك ومن حسنات المؤمنين .

ان هذه الاديرة كلها من بناء نصارى العرب في جهات العراق ؛ وهي من ادل الادلة واجلى البينات على علو منار النصرانية بين عرب الجاهلية .

وما قلناه عن الاديرة نقوله عن عدة كنائس وبيع شيدها العرب . واشاروا بذلك الى تفانيهم وتحمسهم في الدين . وكانوا يتفاخرون ببناء البيع في احيائهم . قال الفيروزابادي وكان في الحيرة كثير من الكنائس البيعة وقال الزبرقان بن بدر التميمي لما وفد على محمد يذكر كنائس قومه :

نحن الكرام ولا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع[1]

وبقي لنا ان نذكر ، لا بل ان نضيف الى هذه الشواهد ، جدول الاساقفة الذين كانوا في القرن الخامس يديرون كنائس العراق العربي ؛ كالانبار والحيرة والبصرة وبيت عربايا وميشان وغيرها[2] .

واذا تشبع بحثنا علماً وتدقيقاً ، نرى من اللائق ان نلقي نظرة عامة على ذيوع النصرانية في جنوب العراق ، وخاصة في منطقة البصرة التي كانت تجاورها اسقفية كسكر ثم واسط بعدئذ . واكبر دليل لنا نعتمد عليه في هذا الباب كتاب الديورة في مملكتي الفرس والعرب ، وهو من تأليف يشوعد ناح مطران

(١) السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٥ الطبعة الأخيرة سنة ١٩٣٧ .

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو اليسوعي القسم الاول الباب السابع ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ .

البصرة الذي عاش في نهاية الجيل الثامن ، وقد نقله الى العربية وعلق على حواشيه ووطأه البطريرك بولس شيخو الحالي : بطريرك بابل في الكلدان : المطبوع في مطبعة النجم في الموصل سنة ١٩٣٩ م.

وقد قدم الكتاب بمقدمة نفيسة ، تكلم فيها على ابرشية البصرة ، نقتطف منها بعض الآراء الصائبة قال : ان ابرشية البصرة دعيت قديماً (فرات ميشان) . أو براث ميشان . أو ميشان فقط ، وقد ينسب اهتداؤها الى المسيحية الى « ماري » : احد الاثنين والسبعين تلميذاً . ومما يثبت ذلك ان اسقف (فرات ميشان) : المدعو بوليداخ ، قد استشهد مع مار شمعون برصباعي الجاثليق . كما ذكر جدول الشهداء عبدا الشهيد اسقف براث ميشان . ويقول عبد يشوع الصوبلوي ان فافا الجاثليق جعل البصرة مطرانة سنة ٤١٠م وتشهد اعمال مجمع اسحق الاول المنعقد سنة ٤١٠ م ان يرد جرد الاول اوعز الى ولاة مملكته في كل النواحي ان يسهلوا اسباب السفر للاساقفة من نصيبين ونحومها . وبيت كرماي وحدودها ، وبيت حوزاي (الاهواز) واقليمها ، وميشان واعمالها وكشكر الخ . . . كي يحضروا هذا المجمع الملتئم لوضع النظام في الكنيسة الشرقية الكلدانية .

وفي سنة ٥١٤م في عهد البطريرك آبا كان شموئيل اسقفاً في كشكر . وجاء في المرسوم الذي رسمه مار آبا البطريرك سنة ٥٤٤م وايده طيماثاوس الاول المعروف بالكبير في القانون الاول من مجمعه المنعقد سنة ٧٦٠م قائلاً : « لما ينتقل البطريرك من الحياة الزمنية : ليأت اسقف كشكر مع اخوته اساقفة الابرشية الكبيرة الى المدائن الجاثاليقية ، وباتفاق (المدائن) [1] . ليكتبوا ويرسلوا اولا الى مطران عيلام واساقفته ، ثم الى مطران البصرة . فالى بقية الذين هم معينون اي مذكورون في تلك الرسالة (براقطيفا) اي (عملية) التي وضعها البطريرك (آبا المذكور) . وبقي هذا النظام معمولا به دائماً [2] .

وفي سنة ٦٣٧ م اختير للمنصب البطريركي ايشوعياب الثاني المعروف بالجلي : وفي اثناء هذه الفترة جرت مجادلة بين اليعاقبة والنساطرة بحضور الملك : وسببها جبرائيل السنجاري : طبيب الملك المشهور . فانه حمل الملك خسرو بن هرمز على ان يجمع النساطرة واليعاقبة لمناظرة رسمية لبيان معتقدهم ، وقد طبع

(١) المدائن وتعرف ايضاً بطيسفون والعرب سموها كذلك طاق كسرى . ومن آثارها الباقية الى اليوم طاق كسرى المشهور وتعرف عند العوام : « سلمان پاك » لان فيها ضريح سلمان الفارسي الصحابي وراجع كتابنا (مدن العراق القديمة) ص ٢٢–٢٨ من الطبعة الثالثة .

(٢) الدبورة في ملكي الفرس والعرب ليشوعدنلخ مطران البصرة . ص ١ و ٢ و ٣ و ٧ .

هرمز ان يجمع العلامة شابو الادلة التي اتى بها الناطرة لاثبات عقيدتهم (شابو ص ٥٦١) [1] .

ونحن حضر هذه المجاورة مع جملة من الاساقفة سرجيس من كشكر . وقد جاء في كتاب شهداء المشرق ما نصه بالحرف : « ... ومدينة كشكر كانت مبنية على شاطئ الفرات على مسافة عشرة فراسخ من بغداد . ومنها سمي البلد — بيت كشكراني — وبلاد ميشان كانت تمتد الى سواحل خليج العجم . وقاعدتها كانت مدينة دارات ميشان وهي نفس البصرة ... » [2] ونحن نقول ان المصادر الشرقية الاخرى ، وخاصة الاسلامية منها ، تؤكد ان مدينة كشكر التي بنيت على انقاضها مدينة واسط كانت على دجلة ، وهي في شرقيه . اللهم الا اذا اطلقنا على دجلة الفرات ايضاً . اذ ان الرافدين يسميان ايضاً الفراتين وخاصة لقرب مصبهما من بعضهما حيث تكثر فروعها على شكل الدلتا عند المصب . بعكس ما هما الآن عند المصب . اما المسافة عشرة فراسخ عن بغداد فهو غير صحيح لاننا نعلم ان الفرسخ يساوي ثلاثة اميال ؛ فبعد كشكر عن بغداد الحالية — مع العلم بانها لم تغير موضعها عن القديم وانما زادت اتساعاً — اكثر من مئة ميل . وقد زرت سنة ١٩٤١ آثار واسط المندثرة المشيدة على آثار كشكر ، واستغرق السفر اكثر من ست ساعات بالسيارة فاذا كان معدل سرعة السيارة ٢٠ ميلاً في الساعة ، فالمسافة على اقل تقدير تكون (١٢٠) ميلاً .

جاء في كتاب شهداء المشرق هذه النبذة في دخول النصرانية بلاد كشكر وميشان ان القديس « ماري » بعد ان تلمذ سالبق [3] وبنى كنيسة خوخي — وقد جاء في حاشية شهداء المشرق المذكور ان بيعة خوخي كانت في المدائن ومن اعظم بيعها وفيها جلس فيما بعد خلفاء مار « رادي » ومار « ماري » — انطلق الى بلاد الواقعة بين الزابين ، وهناك تلمذ كثيرين . ولا يجب ان يتبادر الى الذهن ان الزابين المذكورين هما الزاب الكبير والزاب الصغير اللذان ينبعان من الشمال الشرقي لما بين النهرين ويصبان في نهر دجلة . فقد جاء في حاشية

(١) الديورة في ملكتي الفرس والعرب . ليشوعدناح مطران البصرة وترجمة البطريرك بولس شيخو ص ١١ .

(٢) شهداء المشرق لادشير . ج ١ ص (و) من المقدمة .

(٣) هي سلوقية عاصمة الدولة السلوقية في الشرق الاوسط بعد موت الاسكندر المقدوني . وتعرف خرائبها اليوم بتل عمر . وتقع جنوبي بغداد على الضفة اليسرى من النازل من نهر دجلة . وهي تقابل طيسفون أي المدائن من الضفة الاخرى . راجع كتابنا (مدن العراق القديمة) ص ٢٩ من الطبعة الثالثة لسنة ١٩٦١ م.

كتاب الشهداء هذا التعليق : — « ما عدا الزابين المشهورين اللذين في ارض آثور يوجد ايضاً زابان آخران في عراق بابل » هاك ما يقول عنهما ياقوت . «وبين بغداد وواسط زابان آخران ايضاً. ويسميان الزاب الاعلى والزاب الاسفل. أما الاعلى فهو عبد قوسين واظن مأخذه من الفرات ويصب عند زرقامية وقصبة كزرته النعمانية على دجلة . واما الزاب الاسفل من هذين فقصبته نهر سابس » ثم دخل قرية مبنية على دجلة وكانت تدعى « ورثان » نسبة الى رئيسها الذي كان يسمى ورثان ايضاً . فتلمذ الرئيس واهل داره وجميع تباعه واهل قريته قاطبة ويهودا كثيرين ، وبنى لهم كنيسة وخلف فيها قسوساً وشمامسة وبعد ما قضى سنين كثيرة متردداً فيما بين الآراميين ورجع عدداً من اليهود والوثنيين الى الايمان الصحيح . انصرف قاصداً بلد كشكر . وكان القديس قد تلمذ « كشكر » قبل « سالبق » . وذلك انه اذ شاهد ان «سالبق» « ليس لها من باب يدخل منه ليزرع بذور الايمان المسيحي ، اضطر ان ينزل اولا الى كشكر . وكان اهل كشكر ذوي دهاء وعلم وادب يحكمون في كل شيء بذكاوة وحذاقة لم يبلغ اليها غيرهم . ولما كانوا على جانب كبير من الخبرة في العلوم والمعارف انقادوا بسهولة الى تعليمه اذ اعجبتهم كلمة الحق التي كان ينطق بها ، فتبعه كثير منهم وتوسلوا اليه ان يستمر في مدينتهم كيما يرجعها الى الايمان الصحيح وكان من قولهم له : « تلمذ هذه المدينة التي يسجد فيها للشيطان بشبه النسر » . والتمثال الذي فيها كان يدعى نيشار . فصنع ثم « ماري» غرائب كثيرة حتى ان كاهن التمثال المذكور نبذ الاصنام وتعمد . فاقتدى به كثيرون من اهل المدينة واعتنقوا عبادة الله الحي .

فبنى لهم القديس « ماري » كنيسة وطاف كل بلد كشكر وهو يتلمذ كثيرين ويقيم الكنائس ويثبت النصارى في مخافة الله ويرسم لهم كهنة غير . فتلمذ كشكر اذن هو اقدم من تلمذ سالبق . ولهذا كان يقال ان كرسي كشكر اقدم سائر الكراسي . وبعد ان تلمذ سالبق انحدر الى دير قوني والبلاد الواقعة بين الزابين وبلد شقلا . ثم انه ذهب الى بلد ميشان حيث عانى من العذاب والمشقة ما لا يوصف مع انه لم يجن من هذا العناء ثمرة تذكر لأن اهل هذا البلد كانوا على جانب عظيم من التوحش والجهل والتعصب [1] .

ومما جاء في تأريخ كلدو وآشور للعلامة المرحوم ادي شير في المجلد الثاني في البحث عن ابرشية البطريرك انها كانت تحوي عشرين راعياً اسقفياً : ومن

(١) شهداء المشرق لادي شير جزء ١ ص ٣٦ ٣٧ ٣٨ .

جملة هذه الاستقفيات كشكر وهي واسط الحالية ، على نهر الحي بين بغداد والبصرة ، وكانت تعد التاسعة بين هذه الاسقفيات [1] وجاء كذلك في محل آخر من هذا الجزء ما نصه : « الابرشية الثانية — ويعني بها الابرشية الكلدانية النسطورية — كانت في كلدو الجنوبية : واطلق عليها اسم ميشان ، وقاعدتها براث ميشان وبالقرب منها بنى الاسلام البصرة . واسم براث ميشان الرسمي وهنا ردشير (بَهْمَنْشير او وهمنا باذار داشير) وهي مركز الكرسي المطرابوليطي ومن مدنها الاسقفية كرخا نميشان بين الدجلة ونهر كارون وهي التي سماها اليونان خارك وربّما وبالفارسية شادبور : والعرب دير محراق ، وقد بناها شابور الاول . ونهر گور او نهر گول وبالعربية نهر جور وبالفارسية نهر ايزقباذ بين ميشان والاهواز . اما الأبلة فكانت على اربعة فراسخ من البصرة وشاد على بحر فارس بينها وبين البصرة مرحلة ونصف [2] » .

وورد في مكان آخر ايضاً ان الذي بذر بذور النصرانية في هذه الاصقاع هو ماري الذي بشر في نصيبين وارزون وبقي يطوف بلاد حدياب وبيت گرماي ورادان وكشكر وساليق وميشان والاهواز . ونصب كرسيه في ساليق . وبنى كنيسة في ديرقوني [3] بالقرب من المدائن وفيها توفي [4] .

ويؤيد قوله هذا الكردينال اوجين تيسران في كتابه (خلاصة تأريخية للكنيسة الكلدانية) ونيافته كان سكرتير المجمع الشرقي المقدس ، وقد نقله الى العربية العلامة المغفور له المطران سليمان صايغ ، وذلك في قوله : « واسس مار ماري مركز كشكر في ما بين النهرين السفلي » [5] ثم يقول في مكان آخر ما نصه « . . . ويستنتج — عدا ما جاء في اعمال الشهداء — انه كان ما قبل سنة ٣٢٥ للميلاد جماعات مسيحية في نصيبين وكرخ بيت سلوخ [6] واربيل وشهر قرت [7] وبيت لاشوم [8] وكشكر [9] . » ومما جاء فيه ايضاً

(١) تاريخ كلدو واشور لادي شير . جزء (٢) ص (٩) من المقدمة .
(٢) المصدر الآنف الذكر . ص (١٠) من المقدمة .
(٣) هو ديرقني الذي ذكرناه في بحثنا هذا سابقاً .
(٤) تاريخ كلدو واشور ج (٢) ص ٣ .
(٥) الترجمة العربية المطبوعة في الموصل سنة ١٩٣٩ م ص ٩ .
(٦) هي كركيك الحالية .
(٧) شهر قرت أو شهر قرد وتقع في المنطقة المعروفة بلواء السليمانية شرقي العراق ولا اثر لها اليوم .
(٨) بيت لاشوم وكانت بقرب داقوق في غربي كركوك على مسافة اربعين كيلومتراً منها وهي الآن قرية صغيرة .
(٩) خلاصة تاريخية الكنيسة الكلدانية للكردينال اوجين تيسران وترجمة المطران سليمان صائغ . ص ١٢ .

هذه العبارة التي تدل على ما لمطرانية كشكر هذه من الاهمية حيث قال « ويجدر هنا بالتلخيص وصف النظام المسيحي في بدء القرن الخامس كما جاء في القانون الحادي والثلاثين مصادقاً عليه بامضاءات المجمع — ويقصد به المؤلف مجمع اتحاق الاربعيني المنعقد في اول شباط سنة ٤١٠م — وهو ان يكون العنوان الشرفي لاسقف ساليق « المطران الكبير ورئيس جميع المطارنة » وان يكون له تابع واحد وهو مطران كشكر ينوب منابه عند شغور الكرسي [1] . ومما يذكر في هـذا الصدد ايضاً ان مطران كشكر اشغل كرسي الجاثليق مدة ثلاث سنوات . وهي مدة طويلة بالنسبة الى المدة التي تستغرق في انتخاب الجاثليق . بالنظر الى المعاملات القاسية التي تجري في ترشيح مطران من المطارنة لانتخابه جاثليقاً . كما حدث في سنة ٥٦٧م . حيث ذكر الكردينال تيسران الخبر التالي : « اجتمع المطارنة في شباط ٥٦٧م لانتخاب الجاثليق واتفقت اصواتهم على حزقيـــال الطبيب الذي سيم مطراناً على الزوابي : الا ان المتحزبين ليوسف خالفوا الانتخاب . وبلغ الامر مسامع كسرى [2] فتدخل في الانتخاب وعارض السياميذ ، وهكذا لبث مطران كشكر مدة ثلاث سنوات قائماً مقام الجاثليق ، وبعد موت يوسف اجتمع المطارنة ثانية لانتخاب الجاثليق فوقعت اكثرية الاصوات على واحد اسمه اشعيا الا ان الكثيرين من المطارنة عادوا فتمسكوا بمرشحهم القديم حزقيال مطران الزوابي. ثم رفع الامر الى الملك فاذن باجراء مراسيم السياميذ . وهكذا تم تنصيب حزقيال فاحسن ادارة الامور واجتذب اليه القلوب بحسن سيرته وعقد مجمعاً في شباط سنة ٥٧٦م تحت جو هادئ فسن بعض الانظمة لصلاح الكنيسة » [3].

وكثيراً ما كان ينتخب مطران كشكر جاثليقاً كما حدث سنة ٦٠٢م حيث ذكر الكردينال تيسران هذه الحكاية ايضاً قال : « في سنة ٦٠٢م وقع اغتيال الامبراطور موريس فهاج لذلك غضب كسرى وهو كسرى ابروبز الثاني ، على الاروام ، وعزم ان يثير عليهم حرباً عواناً انتقاماً للمحسن اليه لانه سبق له ان طلب المدد منه فارسل له الامبراطور موريس ما يحتاج اليه من الجيش ، ثم زوجه بابنته مريم وذلك عندما لاذ الملك هرمزد ابوه بالفرار فاعلن بعد انتهاز الفرصة نفسه ملكاً مكان ابيه واحتفظ بالعرش . وعقد النية

(١) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية للكردينال اوجين تيسران . ص ٢٣ من الترجمة .
(٢) هرمزد الرابع وقد كان عطوفاً على المسيحيين محسناً اليهم حتى ان المجوس كانوا يطعنون به ويلومونه لوماً شديداً فتقدمت المسيحية في ايامه وازدهرت .
(٣) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ٩ من النسخة المترجمة .

ان سعى بالملك تنود وسيوس ابن الامبراطور القتيل وكان قد هرب اليه بعد قتل ابيه . وانبأ سبريشوع بأن الغلبة تكون له واوصاه ان يلطف بالعباد . ثم قضى سبريشوع نحبه في نصيبين بينما كان ملك الملوك على حصار دارا . وبعد سقوط هذه المدينة في ايدي الفرس على اثر حصار شديد دام نحو تسعة اشهر رجع كسرى الى سالبق فاجتمع المطارنة واختاروا جاثليقاً غريغوريوس مطران كشكر الذي كان قبلاً مطران نصيبين ثم كان قد اعتزل كرسيه بعد نزاعه مع حنانا الحديابي مدير المدرسة الفارسية[1] .

مار ابراهام الكشكري الاول الجاثليق

(سنة ٩٨م—١٢٠م)

يعد مار ابراهام الكشكري الجاثليق اول مؤمن مسيحي من هذه الديار اي ديار كشكر الكائنة في جنوب العراق والقريبة آثارها وآثار مدينة واسط التي شيدت على انقاضها من مدينة الحي الكائنة على نهر الحي (شط الغراف) المتفرع من نهر دجلة عند سدة الكوت المشيدة حديثاً . واول جاثليق انتخب من تلك المدينة التي ذكرنا خبر تنصرها في بحثنا السابق . ولنأت الآن الى حياة هذا الجاثليق الفاضل الذي تعد سيرته من خير السير حيث كان خلفاً لمار ماري القديس تقريباً كما سيأتي بحثه حيث جاءت سيرته في عدة مصادر نبدأ بأولاها بالاخذ عن كتاب شهداء المشرق للمأسوف عليه المطران المرحوم ادي شير قال ما نصه : « بعد وفاة القديس مار ماري جلس على كرسيه مار ابريس[2] . وقيل انه كان من اقارب مريم العذراء . وتوفي سنة ٩٨م . ثم قام بعده باعباء الرياسة المشرقية مار ابراهام الكشكري وسيم في مدينة انطاكية . وكان طاهر السيرة والسريرة . ولم يزل يترقى مراقي الكمال المسيحي الى ان ذاع صيته في كل المملكة الفارسية وكان الله سبحانه وتعالى يجري على يده كرامات ومعجزات وان خسروشاه ملك الترثيين كان قد اثار على نصارى بلادنا اضطهاداً شديداً . وكان ابنه مصاباً بروح الجنون فبلغه خبر مار ابراهام انه يشفي المرضى ويبرئ السقماء ويصنع غير ذلك من الكرامات الباهرة فاستدعاه

(١) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ٤١ ، ٤٢ من النسخة المترجمة .

(٢) جاء في ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج (١) ص ٤٩ طبعة الآباء الدومينيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ م في ترجمة ابريس ان معناه في الفارسية النواح او العضد . وقال ايضاً . « وكان على رواية من قرابة مار يوسف الخطيب » .

اليه . فلما دخل عليه رآه الملك حزيناً كئيباً . فسأله عن سبب حزنه فأجابه ان الباعث الى ذلك هو ما يذوق النصارى من الاذى والاضطهاد فقال له الملك: — « اذا ابرأت ابني من علته ارفع الاضطهاد » فصلى القديس ووضع يده على ابن الملك فشفي من ساعته . فرحب به الملك واكرمه وابطل الاضطهاد على النصارى . وكان جلوس مار ابراهام على كرسي مار ادي الرسول سنة ٩٨م . وتوفي سنة ١٢٠م[1] .

اما ما ذكره المرحوم القس بطرس نصري الكلداني في كتابه الموسوم بـ (ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان) وهو في مجلدين عن حياة ابراهيم الكشكري فيختلف عما ذكره ادي شير في شهداء المشرق فقد ذكر القس بطرس نصري نقلاً عن السمعاني في اخبار المشارقة المخصوصة بالقرن الاول (المجلد ٣) الفصل الثاني ص ٣٨—٤٠) ان جلوس ابريس على كرسي المدائن كان سنة ٨٩م وقد دام جلوسه ١٦ سنة . ثم خلا الكرسي بعده ٢٢ سنة حتى خلفه ابراهيم الكشكري سنة ١٢٧م . وقد دام جلوسه على كرسي الرئاسة ٢٢ سنة ثم توفي فتكون وفاته سنة ١٤٩م . اما في ترجمته التي ذكرها والتي ساوردها ههنا فيذكر مدة جلوسه على كرسي المدائن اثنتي عشرة سنة ويذكر علاوة على ذلك بان وفاته كانت سنة ١٧٦م . للميلاد وهو يقول بعد هذا طالع (ما : ص : عب٢—٢١) ويقصد بـ (ما) كتاب ماري بن سليمان وهو المؤرخ النسطوري الذي عاش في القرن الحادي عشر ثم قال وقد نقلنا تواريخه عن نسخة توجد الآن في خزانة كتب بيعة مار شيون الكلدانية بآمد مع العلم بان كتاب ذخيرة الاذهان طبع سنة ١٩٠٥م في مطبعة الآباء الدومينيكيين في الموصل كما سنشير الى ذلك في الحواشي عند اشارتنا الى المصدر . ويقصد بالحرف (ص) صليبا المؤرخ النسطوري المعروف بابن يوحنا القسيس الموصلي وعاش في نحو القرن الثالث عشر وفي الموصل نسخة من كتابه الملقب بالمجدل او رسالة البرهان والارشاد الى المحبة ثمرة الدين والاعتقاد — ثم قال القس بطرس نصري — وغلطاً سماه السمعاني عمراً الطيرهاني لان النسخة التي استعملها كانت ناقصة في اولها . ومراعاة لهذا العلامة قد ذكرنا اسناد هذا الكتاب تارة باسم صليبا وطوراً باسم عمرو . ولا يخفى على القارئ الكريم انه كتاب المجدل المطبوع برومة مع كتاب ماري بن سليمان كل على حدة مع ترجمتهما الى اللاتينية بجزئين منفصلين كذلك . واما (عب ٢—

(٢) شهداء المشرق للمرحوم ادي شير ج (١) ص ٤١ من طبعة الآباء الدومينيكيين في الموصل سنة ١٩٠٠ م .

ص ٢١) فيقصد به ابن العبري مشيراً الى تأريخه البيعي الذي قسمه الى جزئين . الاول يختص ببطاركة اليعاقبة والثاني بمفريانات اليعاقبة وجثالقة المشارقة النساطرة . وقد طبعه المعلمان ابولوس ولاي في لوفان من اعمال بلجيكا مع ترجمته اللاتينية سنة ١٨٧٢م . وقد ضمن البحث وترجمة ابراهيم الكشكري بهذا العنوان : في اخبار الكنيسة المشرقية على عهد ابراهيم الكشكري : — قال بعد هذا العنوان ما نصه بالحرف : — « خلف ابريس في كرسي المدائن ابراهيم الكشكري الاول بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المدائن وجلس سنة ١٢٧م . وانما لقب بالكشكري لان مسقط رأسه كان في كشكر . فهذا اختير وارسل الى انطاكية ليقتبل الاسيامذ[1] . وسعى في تدبير شعبه وانقاذه من الاضطهادات التي كانت ملمة بهم منذ عهد سالفه ابريس وكان موصوفاً بالنقداسة ويعمل المعجزات تأييداً لحقيقة النصرانية وتقوية لايمان تباعها وذا شفقة على الخطاة والفقراء . حتى انه استطاع بقداسته ان يخمد نار الاضطهاد عن النصارى وذلك ان ابن كسرى ملك الفرثيين كان قد ابتلى بداء اعجز نطس الاطباء فذكر له امر ابراهيم وما له من الآيات والنقداسة فاستدعاه حالا . ولما دخل عليه رآه الملك حزيناً . فسأله عن السبب فاعلمه ابراهيم امر الاذايا التي يقاسيها بنو شعبه فوعده الملك بازالتها عنهم ان هو شفى ابنه . فوضع ابراهيم يده على المريض وشفاه لساعته ، فزال الاضطهاد بذلك وتنصر جم غفير من المجوس . وجلس ابراهيم الكشكري على كرسي المدائن اثنتي عشرة سنة وتوفي سنة ١٧٦ للميلاد وخلا الكرسي بعده تسع سنين »[2] . وقد اثار طرايانس ملك الروم الاضطهاد على نصارى الكنيسة الشرقية في زحنته على مملكة الفرثيين الذين كانوا قد تعدوا حدودهم واستولوا على نصيبين وما يليها فتأوهم وقصد الرها والمدائن ودخلها عنوة سنة (١٠٥م) وضرب جانباً منها . وكان طرايانس يبغض النصارى وهو الذي ارسل اغناطيوس النوراني اسقف انطاكية الى رومية ليعرض للوحوش..... واشتهر ايضاً في هذا الاضطهاد بالمدائن ابراهيم الكشكري المار ذكره الذي كان قد تعزى اذ رأى انطفاء الاضطهاد الاول . ثم نفغته الهموم بسبب النكبات التي المت بشعبه في هذه الغائلة .

(١) الاسيامذ : لفظة سريانية مركبة من كلمتين (وضع اليد) وهو الاصطلاح الديني المسيحي الذي يعبر عن وضع يد المطران على راس شخص رغبة ان ينال هذا الشخص ممارسة على ما روحاني خاص منوط بوضع اليد هذا ويغلب على سيامة الكهنة (افادناه المرحوم الاب بطرس سابا) .

(٢) ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج ١ ص ٥٠ و ٥١ مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ .

وكان لا يكل في تحريضهم على احتمال العذابات للظفر باكليل الشهادة [1] . وكان من اعمال طرايانس بعد ان فرغ من امر القرثيين قد ترك ادرياس مع جيوشه نائباً عنه ليدبر احوال هذه البلاد وكان قد خلع كسرى ملكنيا وملك مكانه (فارطاما سباط) واذ كان راجعاً الى ايطالية هلك في طريقه فطرد القرثيون (فارطاما سباط) واعادوا ملكهم كسرى فاعطى النصارى الراحة التي كانوا قد نالوها بشفاعة ابراهم الكشكري [2] .

هذا وسنعود الى البحث في من خلف ابراهام الكشكري على هذا الكرسي في المستقبل القريب ان شاء الله .

(١) ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج ١ ص ٥١ و ٥٢ مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ .

(٢) ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج ١ ص ٥٢ و ٥٣ مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ .